الفصل السابع

إنصاف الصابئة المندائيين
من قِبَل شخصيات مندائية مرموقة

obeikan.com

obeikan.com

- **أ. د / عبد الجبار عبد الله:**

أستاذ دكتور وعالم فيزيائي، مبدع ذائع الصيت، وُلِد في مدينة العمارة قضاء قلعة صالح، بدت عليه علامات النبوغ والعبقرية مبكرًا فكان الأول في كل مراحل دراسته، أرسلته الدولة ببعثه دراسية إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، بعدها أرسل في بعثة دراسية إلى أمريكا وحصل على الدكتوراة في وقت قياسي.

قدَّم للبشرية بحوث ونظريات بحدود ثلاثين نظرية، منها:

١. نظرية الأمواج الجوية.
٢. مشكلة تكون الأعاصير الحلزونية المدارية.
٣. التأثير الميكانيكي لاندفاع هواء بارد في تكوين الإعصار الحلزوني.
٤. حدوث ونمو وتكامل الزوابع والأعاصير.
٥. النغمة الموسيقية المنبعثة من الإعصار.
٦. طبقات السحب المختلفة الكثافة في الجو المستقر.
٧. فيزياء الضباب.
٨. بحث لدراسة قلب الإعصار (عين الإعصار).

يعتبر أ.د. عبد الجبار عبد الله مؤسس جامعة بغداد من العلماء المشهورين في العالم حيث دخل اسمه أكبر المعاجم العلمية. كان تربويًا يؤمن بدور العلم في تطوير حياة الإنسان إيمانًا مطلقًا، كما يؤمن بالإنتاج والإبداع البشري، وأن خير مقياس لغرض تقدم المجتمع مقدار ما ينتج فيه من بحوث علمية وإبداعات معرفية. رغم أنه ولد عام ١٩١١ في عائلة دينية لكنه كان علمانيًا علميًا يحب الثقافة والعلم والتطور، والناس عنده كلهم سواسية فلم ينتمي لفئة سياسية ولم يتعصب لجهة دينية. فكل مؤلفاته ومقالاته وبحوثه علمية رغم شغفه بالأدب وحبه للشاعر الكبير الجواهري.

- نحن نُسمَّى صابئة مندائيون

هكذا استقر الحال هذه التسمية المحببة إلى نفوس الصابئة المندائيين. وكلنا يعرف معنى كلمة صابئة أي المتعمدون الذين يصطبغون بالماء الحي الجاري لنقاء النفس وطهارة الجسد ، كذلك تعرفون معنى كلمة "مندائيون" أي "معرفيون" يستخدمون عقولهم وقلوبهم في معرفة الأشياء ، وهكذا عرفوا الحي العظيم ووحدوه قبل كل الناس.

هكذا قوم يكون للإنسان شرف الانتساب إليهم ويتباهى بهم ولوضع ما ذهب إليه عدد من الباحثين من الشرق والغرب بأننا بقايا السومريين فهذا شرف آخر من حقنا أن نتباهى به ، فالسومريون بناة الحضارة الإنسانية وأول من علم بالقلم ومخترعو العجلة (الدولاب) الذي أحدث ثورة في كل مجالات الحياة. وأول من سنَّ القوانين ونظَّم الجيوش وأنشأ المكتبات ، وآثارهم في أور وفي اللوفر وفي بريطانيا وألمانيا وغيرها من متاحف العالم تدل عليهم ، والصابئة المندائيون منهم يحملون تلك الجينات التي كمنت في عصور القهر والاضطهاد ، ولكنها متى ما تهيأت الظروف المناخية المناسبة للإنبات نمت وأزهرت وأثمرت وأعطت... فهؤلاء بيت قرة ، وبيت الصابئي من أهل حران نبغوا في عصر ازدهار الحضارة العباسية وبرعوا في الطب والفلك والعلم والأدب حتى ذاع صيتهم ووصل الآفاق حتى قال الشاعر في رثاء ثابت بن قرة.

أَلا مَـا خَـلا الله كـلُّ شـيءٍ مائـتُ ومَن هَـاجَر يرتجـي ومَـن مَـاتَ فَائـتُ
نَعَينَـا العُلُـومَ الفَلسـفيَّات كلهـا خَبَـا نورُهـا إذ قِيـل مَـاتَ ثَابِـتُ

وهذا الشريف الرضى يرثى أبو إسحاق الصابئي:

أعَلمْـتَ مَـنْ حَمَلُـوا عَلـى الأعْـوَادِ أرَأيْـتَ كَيْـفَ خَبَـا ضِـيَاءُ النّـادِي
جَبَلٌ هَوَى لـوْ خَـرّ فـي البَحـرِ اغتَـدى مِـنْ وَقْعِـهِ مُتَتَـابِعَ الأزْبَـادِ
مـا كنـتُ أعلـمُ قبْـل اليـومِ أنَّ الثَّـرَى يَعْلُـو عَلَـى الأَطْـوَادِ

وفى زمن ثورة تموز المجيدة عندما هبت رياح الخير والحرية وفتحت مسارات تقدميه تبشر بالخير والرفاه برز فارس مندائي عملاق وعالم فيزيائي فذ عراقي سومري صابئي مندائي هو الدكتور عبد الجبار عبد الله الذي قدَّم للعالم أجمع نظرياته التي أدهشت العلماء وخدمت العلم والبشرية ومنها تحديد مركز الزلزال وتحديد مركز سوناي ومعرفة حدوثه قبل أن يتعاظم ويسبب كوارث إنسانية عظيمة، وعندما أطفأت قوى الظلام شعلة تموز أطفأ معها هذا السراج المنير... ولكن تبقى الجينات السومرية فعالة فنبغ آخرون في العلوم وفي الطب وفي الأدب يصعب عددهم الآن، وكلما ازدادت مساحة الحرية وسقيت بماء المكرمات نبتت شتلات من الآس والزيتون هنا وهناك. علماء وأدباء وشعراء ومهندسين وأطباء وأكاديميين وصناع مهرة في صناعات فنية دقيقة وراقية.

• وقدم خدمات جليلة لبلدة العراق وسمعه طيبة لأهله الصابئة المندائيين عندما أسس جامعة بغداد العريقة كأول جامعة عراقية على أسس علمية سليمة واعترفت بها المراكز العلمية وجامعات العالم لكفاءتها وكفاءة مؤسسها ورئيسها.

• وهو في أوج عطاءه نقل جثمانه الطاهر إلى بغداد وسار خلف نعشه عقول وقلوب العراقيين، ولسان حالهم يقول:

وما ميتة جبار ميتة واحدٍ ... ولكنه بنيان قومٍ تهدما

- **حمودي مطشر الهلالي:**

ولد في محافظة ميسان ناحية المشرح عام ١٩٤٢م ، وفيها أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية. تعلم في مدرسة الحياة من خلال تاريخ نضال طويل مع إخوانه المتقدمين فاتسعت دائرة معلوماته ومنحه ذلك شخصية مرموقة يحبها الجميع... كريم نفس ويد ، حلو المعشر صديق صدوق ، أمين دقيق يحفظ الأمانة ويكتم السر ، وبسبب هذه المواصفات العالية اختاره مجلس الشؤون العام ليكون رئيسًا للجنة الاجتماعية ثم رئيسًا للمحكمة الشرعية المندائية التي أشرف على تأسيسها عام ١٩٩٦ وجعل قراراتها الصائبة موضوع تقدير واحترام المندائيين ودوائر الدولة المسؤولة والمصادقة عليها من قبل المحاكم العراقية المتخصصة في وزارة العدل.

كان حمودي عضوًا بارزًا ونشطًا في مجلس شؤون الطائفة وقبلها في المجلس الروحاني العام ، ولهمته العالية وكرمه المتميز مُنح عدد من شهادات الشرف والتقدير تثمينًا لجهوده في خدمة أبناء طائفته ورفعة وعلو شأن الدين.

لقد كان عضوًا رئيسيًا للجنة العليا لترجمة الكتاب المقدس المشكلة من السادة: بشير عبد الواحد ، حمودي مطشر ، داخل يوسف عمارة ، نزار ياسر صكر ، وسخر مزرعته في بغداد لضيافة كافة أعمال الترجمة معنويًا وماديًا ولمدة أربع سنوات متتالية.

صاحب عائلة كبيرة مكونة من ست بنات وولد وعدد من الإخوة والأخوات ، انتقل وعائلته بعد الأحداث التي عصفت بالعراق عام ٢٠٠٥ إلى أربيل ليمارس مهنته التي أحبها ؛ الصياغة ، واستقر في عين كاوه سكنًا وفي أربيل سوق الصاغة.

ساهم مساهمة فعالة في تنظيم عمل أبناء الطائفة فأسسوا مندى وجمعية ثقافية في أربيل مستفيدًا من خبرته التي اكتسبها بالعمل الدءوب في صفوف أبناء الطائفة ومؤسساتها سنين طويلة.

obeikan.com

- **غضبان رومي الناشي:**

ولد عام ١٩٠٥ في قلعة صالح محافظة العمارة، وكان يعيش في القلعة عددٌ كبيرٌ من العوائل المندائية على نهر دجلة. أكمل دراسته الابتدائية فيها، دخل بعدها دار المعلمين الابتدائية ويعتبر أول معلم وموظف مندائي يتم تعيينه في الدولة العراقية. وكان العالم الفيزيائي الدكتور عبد الجبار عبد الله من طلابه المجتهدين. أسندت له وزارة المعارف عدة مسؤوليات تربوية منها تأسيس مدرسة الكحلاء والمدرسة الشرفية وفي عام ١٩٢٦ أسس جمعية المعلمين.

فى عام ١٩٢٧ انتقل إلى مدرسة السنية في العماره معلمًا ثم مديرًا، أسَّس مركزًا صحيًا في مدينة العمارة في متوسطه العمارة الفتية.

في ١٩٣٧ انتقل إلى مدينة البصرة وعمل مدرسًا للغة الإنجليزية في مرحلة المتوسطة، ثم نقل إلى الكوت وأمضى فيها سنتين، ثم إلى بعقوبة حيث أمضى ثلاث سنوات، واستقر في بغداد عام ١٩٥٠م مدرسًا لمادة اللغة الإنجليزية في مدرسة المأمونية، ومن ثم في مدرسة تطبيقات دار المعلمين في الأعظمية.

عام ١٩٥٢ أرسل في بعثه دراسية إلى بيروت، وعند عودته عين في مدرسة الغربية حتى عام ١٩٦٣ حيث أحيل على التقاعد.

قدم خدمات جليلة للصابئة المندائيين وأهمها نشر اللغة المندائية والفكر المندائي وله نشاطات متعددة ومقالات كثيرة وله عدة مؤلفات أهمها ترجمة كتاب الليدي دراور (الصابئة المندائيون) مع الأستاذ نعيم بدوي.

ساهم مساهمة فعالة في تأسيس مجلس التولية عام ١٩٧٥، لغرض جمع شمل المندائيين والحفاظ عليهم من التشتت. وتمَّ تكريمه من قِبل مجلس شؤون الطائفة عام ١٩٩٧م، ومُنِح شهادة الشرف والتقدير ووسام الآس، لدوره وجهوده وخدماته البارزة والمشهودة من أجل إعلاء شأن الطائفة والدين المندائي.

- **ناجية غافل المراني:**

ولدت عام ١٩١٨ في محافظة العمارة وأكملت فيها الدراسة الابتدائية. ثم انتقلت إلى بغداد لتدخل دار المعلمات وتخرجت منه عام ١٩٣٥، عملت مدرسة ومديرة في مدارس البنات لمدة ٢٧ سنة، خلال خدمتها أكملت الإعدادية في المدرسة الجعفرية المسائية، أحيلت على التقاعد عام ١٩٦٣، بعدها واصلت دراستها الأكاديمية وحصلت على شهادة البكالوريوس في الأدب الإنجليزى، وفي عام ١٩٧٠ حصلت على شهادة الماجستير من جامعة بيروت.

لها عدة كتب وبحوث أهمها كتاب "مفاهيم صابئية مندائية" صدر عام ١٩٨٢، ولها مقالات عديدة ومحاضرات كثيرة... كرمت من قبل مجلس شؤون الطائفة عام ١٩٩٧ بشهادة الشرف ووسام الآس تقديرًا لجهودها ودورها البارز في إعلاء شأن الطائفة والدين المندائي.

تقول الأديبة ناجية:

إن موطن المندائيين العراق (وادى الرافدين)، وهم يدينون بشريعة آدم وأولاده وأحفاده، هاجر خلق منهم إلى حران ومنها إلى فلسطين، وتعلموا تعاليم يحيى بن زكريا في حوض نهر الأردن. وعندما تعرضوا للاضطهاد عادوا إلى حران ومنها إلى جنوب العراق، وهذا ما يؤكده كتاب حران كويثا.

وتؤكد لنا الأستاذة ناجية أن فكرة توحيد الصابئة المندائيين هي فكره حضارية راقية حيث تثبت الموسوعات العلمية والآثارية أن بلاد الرافدين منشأ الحضارة الدينية والدنيوية.

- **الدكتور/ قيس مغشغش السعدي:**

ولد في قضاء سوق الشيوخ محافظة الناصرية عام ١٩٥٢ وأكمل فيها دراسته الابتدائية ، وفي بغداد أكمل المتوسطة ثم عاد إلى الناصرية ليتخرج من دار المعلمين عام ١٩٧٠. عين معلمًا في مدرسة المنصور التأسيسية عام ١٩٧٢ ، وواصل دراسته في كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية فتخرج منها عام ١٩٧٨ بدرجة امتياز. وحصل على الماجستير في علم النفس التربوي عام ١٩٨١ وواصل دراسته فحصل على الدكتوراة من جامعة بغداد اختصاص تكنولوجيا التعليم عام١٩٨٩.

له عدة بحوث ومؤلفات قيمه والعديد من المقالات المنشورة وعمل بجد ومثابرة وهمة عالية في جميع مؤسسات الطائفة وكان موضع احترام وتقدير الجميع لكفاءته وسعة إطلاعه وحلاوة حديثه وقدرته على تسيير الأمور وكفاءته الإدارية العالية.

انضم للمجلس الروحاني الأعلى عام ١٩٨٠ وأصبح أمينًا للسر ، وفي عام ١٩٩٤ عين نائبًا إداريًا لرئيس الطائفة لعب أدوارًا في تنظيم وإدارة العديد من الندوات والمحاضرات والمناظرات في قاعة مندي الطائفة بنجاح وكان يرافق رئيس الطائفة في المحافل والمجالس ومراجعة دوائر الدولة. شغل منصب رئيس تحرير آفاق مندائية فكان أول رئيس لها وأصدر ثلاثة أعداد أولية منها.

حصل على شهادة الشرف وشهادة تقديرية لجهوده في خدمة أبناء أمته ورفعة الدين المندائي وتوطيد علاقاته مع الأديان السماوية الأخرى واشتراكه بزيارة الفاتيكان مع الوفد المندائي.

هاجر إلى ألمانيا واستقر هناك وأصدر عدة بحوث وكتب وأصدر مؤخرًا كتاب أبو إسحاق الصابي وكتيب تعليم اللغة المندائية حاليًا مع عدد من السيديهات

معتمد للمتعلم في الجمعيات المندائية في بلدان المهجر. ويعمل حاليًا بجد ومثابرة من أجل إنشاء كلية للدراسات المندائية لمنح شهادات عليا.

obeikan.com

- **الدكتور/ عبد العظيم السبتي:**

كتابات – مرصد جامعة لندن

الأخ الدكتور قيس مغشغش السعدي المحترم.

وأنا أتابع كتاباتك القيمة والمستمرة في أغلب الدوريات المندائية وكذلك على الإنترنت في صفحة كتابات والتي تتناول فيها مواضيع في المندائية عقيدة وتاريخًا ووجودًا ، فإننى أقدر جهودك لما عهدته فيك من قدرة وإمكانية وأحيي مثابرتك التي نعتز بها في خدمة المندائية وتحملك مسؤوليات تنظيمية في كيان الطائفة لفترات طويلة كان لها دورٌ بارزٌ في قيادة شأن الطائفة وتعزيز وجودها على مستوى أبناء الطائفة وكذلك في علاقاتها مع الأديان والطوائف الأخرى ، كما أحيي أسلوبك الموضوعي في عرض الأفكار ، وذلك ما ظهر أخيرًا في صفحة كتابات التي أصبحت مقروءة من قبل الجميع ومنها: "الصابئة المندائيون والوطن العراق ، الصابئون في القرآن وآخرها الشريف الرضي وأبو إسحق الصابي".

ولحاجتنا جميعًا كمندائيين إلى الإعلام عن المندائية والمندائيين كشريحة من شرائح الشعب العراقي الأصيل وبخاصة في هذه المرحلة التثبيتية والدستورية والبنائية في حياة العراق ، فإننى أثبت هنا أن جميع القوى السياسية في الساحة العراقية ، أشخاصًا وتنظيمات ، تعتز بالصابئة المندائيين دينًا وأتباعًا خاصة وأن الجميع يعلم أن ليس للمندائيين أطماعًا سياسية وإقليمية. وهو ليس اعتزاز مجاملة بمقدار ما هو مبني على معرفة بتاريخ هذه الديانة وأتباعها في مسالمتهم ومواطنتهم الشريفة وقدراتهم وكفاءاتهم التي وظفوها بإخلاص مشهود في خدمة وطنهم العريق العراق على مدى التاريخ. وأنا شخصيًا قد لمست هذا الاعتزاز من خلال العلاقات مع شخصيات عراقية مرموقة في الشأن العراقي. إن هذا التقدير الحقيقى مهم لنا وهو مبعث اعتزاز المندائيين جميعًا.

من هنا ، فإني أرى أن على المندائيين اليوم تقع مسؤولية إبراز وجودهم ودورهم وطاقاتهم وكفاءاتهم ليشتركوا مع العراقيين جميعًا في صنع العراق القادم المبني على روح ديمقراطية ، وعلى صانعي القرار السياسي في العراق مساعدتهم في ذلك انطلاقا من إحقاق حق كل ذى حق. ولمعرفتي بأنك أنت شخصيًا تعتبر من أبرز الكفاءات الأكاديمية المندائية الواعية والمثقفة التي وضعت أسسًا للوجود المندائي المعاصر على مدى ربع قرن وما زالت تعمل بنكران ذات عال ، فإننى اتوجه لك لفتح حوار مباشر عبر صفحة كتابات ووسائل الإعلام الأخرى يتعلق بالكيفية التي تراها صحيحة ومناسبة لإبراز دور الصابئة المندائيين على مستوى الساحة العراقية وكيفية حصولهم على استحقاقات مواطنتهم التي طالما تشير إليها في كتاباتك والتي يذكرها المنصفون دائمًا خاصة وقد لمسنا لحد الآن تغييبًا لتمثيلهم سواء على مستوى مجلس الحكم وكذلك مجلس الوزراء. ولا نعلم ما ستؤول إليه الأمور بشأنهم في صياغة الدستور والتمثيلات الأخرى.

كما أننى أوجه هذه الدعوة في الحوار المفتوح لجميع المعنيين والمنصفين من أجل تثبيت وجهات نظرهم التي أنا على يقين من أنها ستخدم القضية المندائية وتساعدها في تثبيت حقوق مشاركتها الفعلية في الوطن العراق.

- **حامد نـزال السعـودي:**

من غرائب الصدف أن أكتب عن هذا الرجل يوم وفاته -رحمه الله- كان صديقًا حميمًا ورفيق درب عمل طويل، شخصيه مندائية موقرة مثقفة واسعة الإطلاع، ولد في قضاء سوق الشيوخ حاضرة الناصرية وأنهى دراسته الابتدائية بها وأكمل الثانوية والإعدادية في مدينة البصرة، كاتب مبدع يهوى كتابة القصص والمقالات والمسرحيات.

التقيت به في منتصف الستينات في القوة الجوية العراقية، وعملنا سوية لأكثر من عشرين عام. لقد كان مهندسًا كفءً متخصصًا على القاذفات الثقيلة نوع TU-22 ونوع الباجر **Tu16** عرفته إداريا رائعًا وتكنولوجيًا ماهرًا يحب النظام والتنظيم ويجيد كتابة التقارير العلمية ويتقن عدة لغات.

متعدد الهوايات، لقد نجح في مجال توليد الكهرباء من الطاقة الشمسية، فتمكن من تشغيل رادارات الرصد الحدودية على الطاقة الشمسية، وكذلك تمكن من تشغيل سيارة من تصميمه على الطاقة الشمسية.

أحيل على التقاعد برتبة عميد مهندس بتاريخ ١٩٨٥/١/٢١ ففقدت القوة الجوية العراقية واحدًا من أكفأ مهندسيها بشهادة زملائه وقيادة القوة الجوية وكل من عرفه وعمل معه.

عمل فترة من الزمن في مهنة الصياغة مهنة آبائه وأجداده والتحق بالمجلس الروحاني الأعلى، فكان الرجل النشط والهمام، وشارك في زيارة الفاتيكان ضمن وفد الصابئة المندائيين.

في عام ١٩٩٥ هاجر إلى هولندا فأسس أول جمعية مندائية هناك والتي تسمى الآن "الفيدرالية المندائية" لأنها تضم عددًا من الجمعيات المندائية يديرها الآن أخوه الفنان المبدع مانع نزال السعودي.

صدر له في هولندا عام ٢٠٠٩ كتابه الفخم (حقيقة الصابئة المندائيين) بحث في تاريخ أمة حاضرة منسية، كلفه الكثير من الجهد والوقت وهو متعب من عجز القلب الذي لازمه سنين طوال حتى وفاه الأجل في ٢٠١١/٩/١٥

obeikan.com

- **الأستاذ/ عزيز سباهي:**

إلى أي قوم ينتمي الصابئة المندائيون ؟

هذه إشكالية عملية يدفع إليها واقع العراق السياسي اليوم، بعد أن طغت روح التعصب الديني والمذهبي والقومي، وصار يجري توزيع "المغانم" على هذا الأساس، لقد عاش الصابئة المندائيون ردحًا طويلاً جدًا من الزمن دون أن يسألهم أحد عن الاصل الاثني الذي انحدروا عنه، كل الذي يعرفونه أنهم عاشوا منذ العصور القديمة في تربة ما بين النهرين، وأن معظم الذين يحيطون بهم جاءوا إلى البلد الذي يعيشون فيه بعدهم، والشيء بالشيء يذكر، أن بعض الجماعات التي تسكن العراق اليوم وصارت هي التي تتحكم في من يحق له البقاء أو عدمه لا يتجاوز الزمن الذي أمضته عن ثلاثة أو أربعة قرون... هذا هو منطق التعصب الديني اليوم !

ليس من الهين القطع بالأصل الاثني الذي يرجع إليه الصابئة المندائيون؛ إذا ما تحدثنا بلغة العلم، فهل تتيسر الشواهد التأريخية الموثوقة التي تعزِّز الآراء التي تطرح في هذا الشأن، أو أننا سندخل ميدان الحدس مرة أخرى ؟...

هناك ثلاثة احتمالات راجحة، فما حظ كل منها من الوثوق ؟... وقبل أن ندخل بالبحث في هذه الاحتمالات الثلاثة، نود أن ننبه إلى أن اللغة؛ وهي عامل مغرٍ هنا؛ لا يمكن اعتمادها كُليةً، فاللغة التي يتخاطب بها الصابئة العراقيون هي العربية، ويتحدث من يعيش منهم في ايران بالفارسية، فهل يعني أن العراقيين منهم عرب والفارسيين فرس؛ برغم ما يربط كليهما من أواصر قرابة ؟... أما اللغة التي دونت بها كتبهم الدينية، والتي كانت يومًا ما لغتهم في التخاطب أيضًا، فهي لهجة خاصة من اللهجات الآرامية الشرقية، ونتيجة لطغيان الثقافة العربية الإسلامية والحكم العربي الإسلامي الطويل، والتضييق والاضطهاد الذي يحاصرهم عبر الأجيال؛ انمحت لغتهم الأم تدريجيًا في التخاطب وانزوت

في الدوائر اللاهوتية أو حتى في الكتب الدينية فقط... فهل كان أصلهم من الآراميين ثم غلب عليهم الانتماء العربي؟

غير أن تساؤلاً مشروعا آخر ينبثق هنا، وهو أن الآرامية كلغة وفدت الى بلاد النهرين مع الآراميين الذين نزحوا إليها في مطلع الألف الأول قبل الميلاد، ولعوامل سنأتي على ذكرها لاحقًا؛ سادت هذه اللغة في حياة البلاد في ميدان بعد آخر، ولأنها في الأساس ليست بعيدة كثيرًا عن لغات الأقوام السابقة: الآكادية والبابلية والآشورية، ولسهولة تدوينها بأبجدية غير معقدة كالمسمارية؛ شاع استخدام هذه اللغة في الميادين الاجتماعية المختلفة، وانكمشت اللغات الأخرى تدريجيًا، حتى انمحت بعدئذٍ تاركةً آثارها وبصماتها هنا وهناك... فهل تلقفها الصابئة المندائيون؛ شأن الآخرين؛ حتى باتت لغتهم الأم، وطوروا لهجة خاصة بهم بحكم انزوائهم وضعف ارتباطهم بالآخرين؟ وطوروا في مرحلة تالية أبجدية خاصة بهم؟

نعود ونتساءل: هل هم آراميون فعلاً؟ وأن لغتهم الآرامية هي لغتهم أصلا لكنهم تميزوا بحكم تبنيهم عقائد دينية خاصة ؟. كل هذه تساؤلات تتطلب التدليل والتعليل، لكننا نطرحها هنا بشكل عابر للإشارة ان اللغة وحدها لاتصح كشاهد وحيد في ما نرمي إليه من الحديث عن الانتماء الاثني

بنفس الشاكلة قد يتساءل المرء: لماذا لا يكونون من بقايا البابليين الذين كانوا يسكنون جنوب ما بين النهرين ثم اعتنقوا المندائية في فترة متأخرة وصاروا يتحدثون الآرامية أسوة بغيرهم من الأقوام، لا سيما بعد أن علت كفة الآراميين بعد أن أصبح أبناء عمومتهم - الكلدانيون - هم الذين يحكمون الدولة البابلية الثانية ؟ خاصة وأن عديدًا من معتقداتهم وطقوسهم الدينية تحمل آثارًا بابلية ؟.. ثم ألا يدفع نعتهم بالصابئة إلى البحث عما يربطهم بجماعات أخرى سميت بهذا الاسم أو قريبًا منه؛ كالعرب الصفائيين الذين كانوا يعيشون في منطقة حران في سوريا والمناطق المجاورة لها جنوبًا وشرقًا ؟

وقد اشتط البحث ببعضهم، حتى أن هنري فيلد ؛العالم الانثروبولوجي الذي عمل في العراق ؛ ذهب إلى أن الصابئة المندائيين ربما يكونون من الآراميين ، استنادًا إلى الدراسة التي أجراها للسمات الجسدية لبعض كُهَّان الصابئة المندائيين الذين لا يتزاوجون إلا فيما بينهم لدوافع دينية.

قبل أن نشرع في تناول التساؤلات التي طرحناها ، نشير إلى أننا نميِّز بين الانتماء الديني والانتماء الاثني ، إذ لكل منهما ميدانه الخاص ، ولا يمنع أن يكونوا آراميي الأصل شأن الآراميين الآخرين الذين اعتنقوا الدين المسيحي وانتهجوا هذا المذهب أو ذاك ، ولا يمنع أن يكونوا عربًا ، أنباطًا ، أو غيرهم ، لكنهم على دين خاص يميزهم عن العرب الذين اعتنقوا المسيحية أو الإسلام من بعد ، أو يكونوا بابليين قد تخلو عن عقائدهم السابقة.

ويدور الحديث عن تحولات مناخية كبيرة شهدها الشرق الأوسط في ما بين الألف الثالث وأوائل الألف الثاني ق.م ، وضعت حدًا للمناخ المطري المعتدل الذي ساد المنطقة قبلها ، وشهدت المنطقة في عهد الانتقال من عصر البرونز الأخير (أواخر الألف الثاني ق. م) إلى عصر الحديد (١٢٥٠ ــ ١٠٠٠ ق.م) جفافًا شديدًا دفع إلى تحولات سكانية شملت الشرق الأدنى كله. وكانت موجات الهجرة السكانية تتجه صوب المناطق ذات المياه الوفيرة (أمطار وأنهار). من هذه ، هجرة القبائل الآرامية التي كانت تقطن بادية الشام نحو المناطق المطرية قرب البحر الأبيض المتوسط غربًا ، ونحو الفرات وروافده شمالاً وشرقًا ، وكان المهاجرون هؤلاء يدعون بـــ" الأحلامو". وقد أشير إليهم في رسالة عُثِر عليها في تل العمارنة في مصر (ما بين ١٣٧٩ و ١٣٦٢ ق.م)[١] كما يتحدث نص آشوري عن معركة يخوضها الملك الآشوري ضد قوات "الأحلامو" و "السوتو" وينتصر عليهما. ولكن منذ القرن التاسع ق. م صارت الوثائق الاشورية تكتفي بتسمية هذه القبائل بالآرامية[٢].

---

١ دوبون سوميه والآراميون ، ص ٢١ . دار أماني ، سوريا ١٩٨٨

٢ المصدر السابق، ص ٢٦

ومنذ مطلع الألف الأول ق.م ، استطاع الآراميون أن يكوِّنوا دويلات لهم على جانبي نهر الفرات في شمال سوريا وعلى رافديه (البليخ والخابور) مثل بيت باخاني ، وبيت آد يني ، وبيت آكوشي. ومملكة (صبا) أو (صوبا) بين حماة ودمشق حتى البقاع غربًا ، وأخرى أصغر في منطقة حلب ، وتسربت القبائل الآرامية البدوية إلى ما بين النهرين. وبرغم محاولات الآشوريين لصدهم ؛ استطاع الآراميون توطيد أقدامهم ما بين خانا (عانة) ورابيكو (هيت) على نهر الفرات ، واستوطنت قبائل الـــ(لاكي) في الجنوب من سنجار ، و(أوتياني) بين الزاب والعظيم. وفي الأيام الأخيرة من حكم البابليين ؛ امتدَّ نفوذ الآراميين إلى بابل وهيمنت قبائل أوكني وبوقودي واليتو وكامبو وجندارو على منطقة البطائح جنوب ما بين النهرين. وفي أقصى الجنوب عند الخليج كوَّن الآراميون دويلة عرفت باسم (باكيني). لكنهم سواء في سوريا أو ما بين النهرين لم يستطيعوا أن يكونوا دولة قوية واحدة خاصة بهم ، وأبرز دويلاتهم كانت دولة (صبا) ، ولكن الآراميين وإن كانوا لم ينجحوا في تكوين دولة كبيرة في ما بين النهرين كالآخرين ، إلا أنهم فرضوا شخصيتهم على حضارة ما بين النهرين عن طريق التفوق الذى حققته لغتهم ، إذ اضطر حتى خصومهم "الآشوريون" إلى استخدامها في معاملاتهم الرسمية في ما بينهم وفي تعاملهم مع الأقوام الأخرى، ولا يعود هذا فقط الى حملات التهجير التي مارسها الآشوريون ضدهم ، والتي كانت تشمل أحياناً عشرات الآلاف منهم ، وإنما يرجع أيضًا إلى سهولة استخدامها في التعامل التجاري اليومي وفي تنظيم العقود. وكان الناس يفضلون أبجديتها على الخط المسماري في التعامل اليومي ، زد على هذا ، فأن الآرامية كانت تميل الى التطور ، وقد تأثرت بالأكادية في صرفها ونحوها ، واقتبست منها كثيرًا من مفرداتها. وساد استخدام الآرامية في الأوساط الشعبية في سوريا وفلسطين وما بين النهرين ودفع هذا الانتشار الواسع وقابلية اللغة ذاتها على التكيف أن تتخذ الآرامية مسارات متباينة في تحولها إلى لهجات محلية تتمايز عن بعضها بحكم تباين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المناطق المختلفة.

وإلى جانب هذه اللهجات ظلت هناك لغة آرامية كلاسيكية يجري استخدامها في المعاملات الرسمية ، وتعززت مكانة اللغة الآرامية مع تأسيس الدولة البابلية الثانية على يد الكلدانيين ودعم الآراميين لها. ولهذا فحين احتل الفرس بابل عام ٥٣٩ ق.م اضطروا إلى الإبقاء على الآرامية كلغة رسمية ، لا في تعاملهم المحلي مع سكان ما بين النهرين وحسب ، وإنما في تعاملهم مع الأقوام والدول الأخرى أيضًا ، وكانوا يستخدمون اللغة الكلاسيكية في هذا التعامل. ولكن حين جاء الإغريق ، فرضوا استعمال لغتهم الإغريقية في تعاملهم الرسمي وبهذا أزاحوا اللغة الكلاسيكية وفتحوا بذلك السبيل امام الهجات الآرامية المحلية للتطور والتكيف الخاص. وجرى تمايزها في منحيين: شرقي وغربي ، أي في سبيل سلكته اللهجات المحلية في ما بين النهرين ومن بينها اللهجة المندائية ، وآخر سلكته اللهجات الآرامية المحلية في سوريا وفلسطين. وجرى تدوين الكتب الدينية كالتوراة والتلمود والإنجيل والكنزا ربا المندائية وكنز الحياة المانوي وغيرها ليزيد من ترسيخ الآرامية وتمايزها. وظلت الآرامية بلهجاتها المختلفة تحتفظ بتفوقها في المنطقة حتى استطاعت العربية ان تنتزع مركز الصدارة بعد ظهور الإسلام والفتوحات الإسلامية.

لكننا نعود لنؤكد أن اتساع التخاطب والتدوين بالآرامية ، على النحو الذي بسطناه ، لا يعطي أي دليل تاريخي على كون المندائيين آراميي الأصل ، فقد يكونوا كذلك ، واللغة التي تخاطبوا بها إن اتخذت شكل لهجة محلية خاصة ، هي لغتهم الخاصة من الأساس. أو ان يكونوا من غير الآراميين ، لكن الآرامية شاعت بينهم مثلما شاعت لدى الآخرين ، كما رأينا.

وما يرد في اللغة المندائية من مفردات اكدية أو بابلية أو فارسية ، لا يقدم هو الآخر دليلاً مؤكدًا على انتماء اثني سابق! لذلك نضطر الى تسقط الإشارات هنا وهناك عن ارتباط لهم بالآراميين أو غيرهم... والمؤسف أن شواهدنا هذه تظل أقرب إلى الحدس من أي يقين ولو باهت جدًا.

- **نـزار ياسر الحيـدر:**

ولد في بغداد عام ١٩٥٣ ، أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مدارس بغداد ، وحصل على شهادة البكالوريوس من كلية الإدارة الجامعة المستنصرية.

عمل بادئ الأمر مع والده في مهنة الصياغة ، بعدها أصبح جواهرجيًا معروفًا بفن صياغة الذهب والفضة والألماس ، له محلات عمل عديدة في شارع النهر وفي فندق فلسطين مريديان وفي المنصور وفي أربيل.

فى محلة في فندق فلسطين مريديان موضع إعجاب لجماله ولنوع البضاعة التي كان يعرضها ، هذا المحل لفخامته ولسعته ولجمال ديكوراته أصبح مكملاً لنشاطات مندي الطائفة لاستقبال الزوار والضيوف ولإنجاز مجلة آفاق مندائية وكان ملتقى وأحيانًا مكانًا للاجتماعات.

كان عضوًا نشيطًا في مجلس شؤون الطائفة العام وعضوًا في اللجنة المشرفة على ترجمة الكتاب المقدس (كنزا ربا)، ورئيسًا لتحرير مجلة آفاق مندائية التي طورها وجعل منها مجلة مرموقة أشرف بشكل مباشر على خطة طباعتها وتوزيعها.

اعتبر نزار من المحترفين المقتدرين والمعبرين عن حقوق وهموم الصابئة المندائيين ، يمتاز بالجرأة والمثابرة والمتابعة ، وله قدرة على إنجاز الأعمال بأقل وقت ممكن دون كلل أو ملل.

ساهم بفعالية في تأسيس مجلس الأقليات القومية، وعين نائبًا له.

- **حامد مغشغش السعدي:**

ولد في الناصرية في سوق الشيوخ عام ١٩٣٤م ، وأكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة في الناصرية ثم دار المعلمين ، وعين معلمًا في مدرسة السوق نفس المدرسة التي كان طالبًا فيها. تخصص في تدريس اللغة الإنجليزية ، انتقل إلى بغداد عام ١٩٦٦ ودخل كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية في الجامعة المستنصرية.

عام ١٩٨١ تقاعد وتفرغ لخدمة أبناء الطائفة ، وعمل في مجلس شؤون الطائفة، بعدها أصبح رئيسًا لهذا المجلس ورئيسًا لتحرير مجلة آفاق مندائية لفترة محددة بسبب سفره للعلاج.

له نشاطات متعددة ومقالات كثيرة وصدر له كتاب (محلة الصابئة المندائيين في سوق الشيوخ).

من وجهاء الصابئة المندائيين ومربي فاضل وساهم بفاعلية عالية في مجالس الطائفة وفي الحركة الثقافية وكان من الوجهاء النشطين ، وكانت دائمًا آراؤه صائبة ودقيقة.

- **د. عبد الجبار ياسر الحيدر:**

ولد عام ١٩٣٦ في لواء العمارة قضاء الكحلاء ، انتقل إلى بغداد قبل أن يكمل الابتدائية ، أكمل كافة مراحل دراسته في بغداد ، تخرج في كلية الطب عام ١٩٦٠ ، عمل طبيبًا في البصرة والناصرية والكوفة والعمارة... عام ١٩٧٤ حصل على شهادة اختصاص في الجراحة في كلية الجراحين الملكية في أدنبره، خدم في مستشفى الكندي التعليمى رئيسًا لقسم الجراحة ثم عين مديرًا لنفس المستشفى حتى عام ١٩٩٤ بعدها أحال نفسه على التقاعد ، وأنشأ مستشفى الفردوس الأهلي في بغداد مع عدد من الأطباء الاختصاصيين.

هاجر عام ١٩٩٧ إلى كندا مع عائلته وساهم في تأسيس الجمعية المندائية في تورنتو.

مربي فاضل ومندائي أصيل يتمتع بطيبة وكرم أخلاق وله مساهمات عديدة ومقالات وبحوث جعل من أولاده وبناته عائلة علمية محترمة لهم أسماؤهم اللامعة وسمعتهم الطيبة.

انتخب رئيسًا لهيئة حكماء طائفة الصابئة المندائيين للقضاء في المشاكل والنزاعات بين أبناء الطائفة أو مؤسساتها من الداعين لتوحيد العمل المندائي... وحل المشاكل بالحوار والتفاهم...

له مساهمات جادة في توحيد العمل المندائي وبناء مؤسسات رصينة تخدم أبناء الطائفة وترسخ مبادئ الدين المندائي.

- **نعيم بدوي:**

ولد عام ١٩١١ في العمارة ودرس الابتدائية ، وفي عام ١٩٢٧ دخل دار المعلمين وتخرج منها عام ١٩٣١ ، وعين معلمًا ودرس أجيالاً في مدارس قلعة صالح والمجر الصغير وغيرها من المدارس الابتدائية في الكثير من قرى وأرياف تلك المناطق ولمدة ست سنوات ، ثم التحق في دار المعلمين العالية وتخرج عام ١٩٤١ مدرسًا للأدب العربي بدرجة امتياز.

عمل مدرسًا في مدارس العمارة الثانوية ثم شغل منصب مشرف تربوي في مدينة الكوت لكفاءته ونشاطه.

فصل من الخدمة لنشاطه السياسى عام ١٩٥٢... وفي عام ١٩٥٨ أعيد للخدمة ليعمل في وزارة الاقتصاد.

منذ عام ١٩٦٤ سخر إمكاناته لخدمة الصابئة المندائيين وتعاون مع الأستاذ غضبان رومي في ترجمة كتاب الليدي دراور (الصابئة المندائيون).

له الكثير من النشاطات الأدبية والفكرية والاجتماعية وبحوث ومحاضرات عن المندائيين.

Obeikan.com

- **هيثم نافل والي:**

لقد بدأت عجلت الثقافة المندائية تدور من جديد بجهود الخيرين... وهيثم له الكأس المعلى... لنعيد أمجاد آل قرة وآل صابي وآل سام ونكمل مشوار لميعة وعبد الرزاق وتريكو وعزيز وقيس وهمام ورمزية وسوسن وعبد الإله وخولة وحذام... وكل المبدعين المنتجين الأخيار... وأنا شخصيًا أدين بالعرفان إلى هيثم لمساعدته غير المحدودة لي ولغيري بنكران ذات ودعم أخوي معنوي عالي، وجهود عالية في تسهيل الطباعة لدى مؤسسة شمس للنشر والإعلام في القاهرة...

بورك فيك يا أبا المتنبي... وبورك في سيرتك الذاتية ليتعلم منها الشباب الواعي أمل المستقبل.

وهذه سيرة ذاتية مختصرة للكاتب المبدع هيثم نافل والي كتبها بخط يده... أرجو له مزيدًا من الإبداع والتألق...

يمينًا، الحق ما أكتبه... الضغط الكثير وصلب الحريات خاصة الفكرية والتعبيرية منها يا أصدقائي تأثيره يكون كوتر الكمان المشدود أكثر مما ينبغي، نجده ينقطع ما أن يلامسه قوسه مطلقًا صوتًا أدنى إلى الأنين ثم يرتجف، بعدها يموت. فما بالكم لو كان الضغط يمارس على الفنان المبدع؟... يا إلهي لا أستطيع أن أصف حاله. الخلاصة، سيكون كوترنا المشدود أكثر مما ينبغي؛ ما أن يدغدغه القوس وتقرصه الأنامل حتى يطق، ينطفئ بعد أن يرتجف ثم يموت. وبخجل يقظ عجيب ينزل أو يخرج علينا لا أعرف من أين كأننا نخشى خجلنا أو انفعالنا نواسي أنفسنا بقلوب منقبضة متحسرين، متوسلين بضراعة

خرساء لا يمكن لي أن أتكهن لمن، مطأطأي الرؤوس مرتعدي الفرائص كالقتلة نعزي ظلالنا بنظرات ترد الظن إلى أعقابه ثم نكتفي بهذا القدر والحمد لله!.

يقال والعلم عنده سبحانه، إذا أردتَ أن تكون ساحرًا عليك أولاً أن تصاب بلوثة عصبية.. الحياة -يا من أجلّكم- قتلت في نفسي أشياء كثيرة، لكنها أحيت أيضًا أشياء أخرى منها وأهمها الكتابة. الحقيقة التي لا مراء فيها هي إني أكتب ويدي على قلبي، لأنني ببساطة شديدة لي عائلة وأخاف على نفسي وعليهم حتى من مواء القطة... من حق كل شخص أن يحلم ما دام قلبه ينبض بالحياة. أنا أحد هؤلاء الحالمين؛ كنت أطمح ولا أطمع أن أكون كاتبًا يشار له بالبنان والعرفان. لا أعرف بالتحديد نوع الشيطان الذي كان يوخزني مثل إبرة النحل ليشير لي بتلك الصنعة التي أجهل نسب جنّيها في وقت غير بعيد، لكنني كما قلت، لم أخنق نفسي بيدي، ولم أعدم حلمي، حاولت، اجتهدت وسهرت الليالي الطوال من أجل ذلك الهدف المنشود الذي أعشق.

تعرفت في وقت بدا لي لا أول له في غربتي المبكرة التي مازلت أعانيها، أقصد، أعيشها معتبرًا نفسي من زمرة الشباب؛ على رجل ودود يكاد خدَّاه تنفر منهما الدماء القانية لتفصدهما بالعافية والصحة يعمل رئيسًا لمنظمة ترعى وتعني بحقوق الإنسان، والإنسان في أوروبا ليس كما نعرفه في شرقنا الغافي، هنا يعتبرونه الغاية، ونحن نسميه المطية التي عليها يحملون ويمررون جُلَّ شياطينهم ومؤامراتهم وخوازيقهم، ولا أريد أن أسترسل هنا أكثر حفاظًا على الذوق العام كي لا يجرح!.. حيث رأى ذلك الرجل الطيب طموحي، وربما سمع بحلمي، مد لي يد المساعدة بسخاء لا يعرفه غير البحر دون شروط وهذا هو المهم، أقسم على أن المساعدة كانت غير مشروطة، لأنني أعرف أن كل شيء له مقابل وثمن حتى الصمت!، لا شيء مجانًا، لكن مساعدة ذلك الرجل كانت بصدق غير مشروطة، لم يطالبني مثلاً أن أغيِّر ديني، أو أن أكون كاهنًا

في قرية نائية، مطلقًا. لم يحدث من هذا الذي نراه يوميًا في الضفة الأخرى ومن حيث تشرق الشمس أبدًا.

عملنا معًا في إصدار كتيب كنت قد أعددته وكتبته بخط يدي لعدم توفر آلة كاتبة باللغة العربية عام ١٩٩٠ في ميونخ، نرتب أوراق الكتيب ونثبتها بدبابيس مطوية، رقيقة ناعمة كأجنحة الجراد، ثم نستنسخها ونعيد طباعتها ونوزعها على اللاجئين العرب الجدد مجانًا بلا شروط، أي والله، بلا شروط. كانوا ما شاء الله يتوافدون يوميًا بالعشرات حتى بات الأمر اليوم أكثر مسليًا، معذرةً، أعني مؤلمًا ومألوفاً.. بآلاف نتيجة طاعون الشرق الذي هربنا منه ونفدنا بجلدنا قبل أكثر من ربع قرن.

كانت تلك أولى كتاباتي التي نشرتها عبر الكتيبات الثلاثة التي حملت وقتها عنوان "أشعة من ظلمات" ضمّنتها لوحات تشكيلية خربشتها بقلم الرصاص. أعدم نظري إن لم أقل غير الحقيقة... حتى ظهر في حياتنا وقتها معتوه له عينا وغد مخنوق بالحنق يقول عن نفسه دكتور من إحدى قارات العالم العربي الكثيرة المتناثرة التي كل قارة تختلف عن أختها حتى باللغة والدين طاش لُبّه عندما قرأ تلك الكتيبات المظلومة فقرر أن يترجم أحدها إلى الإنجليزية ؛ لم أتأكد من صحة ترجمته لحد هذه اللحظة. الكتيب مازال يتمتع بدفء عجيب، محشور بين مئات الكتب المرصوصة المرصوفة في مكتبتي المنزلية المنحوسة التي كلفتني أجر عمل سنوات طوال يصعب الساحر العتيد من عدّ قيمتها أو يتوقع مقدار دم قلبي الذي دفعته لقاءها.

وقتها أشار لي ذلك الرجل الرحيم رئيس المنظمة التي تعني بالإنسان والحيوان على حدٍ سواء - أعزه الله - بمجلة تصدر في عاصمة النمسا تمولها قارة تختلف عن قارة صاحبنا المعتوه الذي يدعي بأنه دكتور ترك مهنته لأمور تتعلق بعقله يتمختر بمشيته كصبية شبت عن الطوق ناطقة بالعربية... لم أكذب خبرًا، بعثت لهم بعض من القصصات الورقية التي لطخها قلمي وسودها حبره،

تم نشر محتوياتها والتعليق عليها. مازلت أملك النسخة الأصلية غير المغشوشة وحق ما نعبد.

هكذا بدأت غربتي ورحلتي مع الكتابة في غربتي حتى أصدرت كتابًا بعنوان "نتاج السنين" تضمن مجموعة من الآفات القصيرة، عذرًا، أقصد، القصص القصيرة المدمن على كتابتها. وزعت الكتاب مجاناً على كل عابر سبيل يرميه القدر أمامي!.

قلت أحدث نفسي، لأجرب حظي وأكتب مسرحية، وكانت اللعنة.. أصدرت واحدة يتيمة لن أكررها بعنوان "الشك وأشياء أخرى" بعتها على قدر حق طباعتها، ما دفعته عليها، ورقها وحبرها. الحقيقة، حمدت الله على النتيجة من كل قلبي. فأنا لم أخسر ولم أربح فيها.

التقت بنا القناة الفضائية البغدادية وعملت لقاءً صحفيًا دام ساعة كاملة، أصبح حافزًا لتكملة المشوار الذي ابتدأت به عن طريق حلم.. أحلف أمامكم بأغلظ الأيمان، لم يكن سوى حلم، تجرأت وحلمت. أردت أن أشعر فقط في غربتي بأني على قيد الحياة.

عكفت على دراسة تأريخ الأديان، أربع سنوات من البحث كانت كافية، كتبت ملاحظاتي، خرج كتابي الشنيع الذي يحمل عنوان "الدين والنبي في التاريخ" ذلك الذي جعلني أصطدم وقتها مع بعض المؤمنين الذين يخافون الله. أنا كنت ومازلت أحب الله، هناك فرق بين أن تؤمن بالله خوفًا وبين أن تؤمن به حبًا. قررت إيقاف توزيعه سعيًا للسلامة والروح كما يقال، عزيزة.

ثم، وهذا هو الأهم:

نصحني صديقي الجميل المهندس ح. ح. ش. أن أنتمي إلى موقع إلكتروني عراقي خاص بطائفتي المسالمة التي أنتمي إليها، كان ذلك في نهاية عام ٢٠١٣ على ما أذكر. وقتها لم تلق نصيحته آذان صاغية عندي بسبب ضيق

وقتي، كنت صادقًا في تعليل رفضي، إذ كنت ومازلت أسطو على وقت أسرتي باليوم خمس وعشرين ساعة أمنحها راضيًا إلى قراءاتي اللعينة وكتاباتي المنكوشة التي لا تريد أن تنتهي... لكنه وفي نهاية المطاف أجبرني بطريقة أو بأخرى على الانضمام وقبلت. بعدها توالت انتكاساتي الرائعة في كتابة القصة القصيرة، فكتبت على مدار ثلاث سنوات نحو مائة وعشرين قصة قصيرة لم أجنِ منها غير حرق الأعصاب واللوعة.

نويت طبع كتبي، حفت قدمي وأنا أبحث عمن يساعدني ويأخذ بيدي. لم أترك بابًا إلا وطرقته، التجأت إلى رئاسة الطائفة التي أنتمى إليها ومقرها بغداد، بغداد عاصمة الرشيد كما يقولون، لكنهم لم ينوهوا عن مسراته وهز أكتافه ومعاقرته الملذات بكل أنواعها، جارياته كنَّ أكثر من صحبه وأصدقائه، أمير المؤمنين، أميرًا غير مؤمن، عاقب الله من كان وراء هروبنا وترك أوطاننا، أصبحنا فجأة نصفين، نصف يئن على الوطن وآخر يحن إليه!، ما علينا، خلاصة القول، التاريخ سينصفنا بلا شك!. قدمت طلبًا.. حُوّل الموضوع إلى الأوقاف، لم أتمكن بذكائي المعهود أن أعرف سبب تحويل أمر كهذا إلى دائرة الأوقاف والعلم عند الله. عام ونصف من المداولات والمباحثات، ثم جاء الرد أخيرًا صريحًا: " لو كانت كتب دينية لاستطعنا مساعدتك، طباعتها ونشرها، لكنها للأسف، وأقول للأسف لأنها أدبية وليست دينية". الدين في كل زمان ومكان هو الأقوى، منذ نشوئه، بل قبل أن يعرف الإنسان التاريخ، كان الصياد ينتظر فريسته وهو يدعو شيئًا ما، يحلم ويتأمل أن تمر أمام ناظريه فريسة يقتلها حتى يعيش ويستمر في القتل، بلا مؤاخذة، أعني، يستمر بالحياة، منذ ذلك الزمان كان الدين هو السائد وليس الأدب، تأثيره على الناس، حاجتهم له، سطوته، معروفه، فضائله، كل شيء، ماذا يكون الأدب أمام الدين؟! رضخت للنتيجة ولم أستسلم!... كما قلت، عندي حلم أريد تحقيقه، من حقي أن أحلم، كل إنسان لابد له أن يحلم، الأحلام مازالت مشروعة، يمكن اغتصاب أشياء كثيرة من الإنسان حتى الأفواه كما لا يخفى، لكنهم لا يستطيعون أن يسرقوا الأحلام

من خيالات سواد الناس، قتلها أو اغتيالها كالمواهب التي يهبها الله سبحانه لمن يشاء دون حساب، من يريد أن يسطو على موهبة جاره لا يكون أمامه إلا قتله، إذ لا يمكن أن يكون موهوبًا إلا بإرادة واهب النعم، الموهبة لا تأتي بالتعلم أو الدراسة أو التعود، هي إما أن تكون أو لا تكون، ولو حصل وقتل الموهوب كما حصل مع البارع "موزارت" يضيع كما يقول المثل العراقي الجميل الخيط والعصفور، المبدع وإبداعه.

تحركت في مسار آخر، دور النشر في قاراتنا العربية. النتيجة كانت واحدة كأنهم متفقون: لا فراغ في جدول أعمالنا لهذه السنة!. عندما تحاججهم: ليكن العام القادم. يقولون زائغين: الأدب ليس اختصاصنا!، وتذكرت جواب الأوقاف العجيب: "لو كانت الكتب دينية لطبعناها".

داخلي كان يصرخ صراخ من يسلخ جلده، يجرح الكرامة، يخنق الأنفاس،.. كدت أيأس لولا ظهور الطبيب الصديق س. ج. ف. في حياتي الذي مازلت لم ألتق به، نصحني بـــ"مؤسسة شمس للنشر والإعلام"... وكانت البداية بعد عمر ناهز الخمسين. من الاستحالة أن تكون روايتي الأولى "أنهر بنت الرافدين" الأخيرة حتى لو رحلت عنكم جسديًا، مؤلفاتي ستغوص في أعماق نفوسكم إلى ما شاء لها الله تقرأ لأنني في أعماق وجودكم أكون موجودا.

- هيثم نافل والي.
- كاتب وقاص عراقي، من مواليد بغداد ١٩٦٥م.
- مهندس زراعي.
- هاجر مع زوجته إلى ألمانيا قبيل حرب الخليج عام ١٩٩٠م.
- أسس مجلة ناطقة باللغة العربية بعنوان (ميمرا الكلمة) في ميونيخ عام ١٩٩٩م، وترَّأس تحريرها.

- نشر مجموعة كبيرة من القصص القصيرة والحكايات والمقالات في مجلات وصحف ومواقع عراقية وعربية عديدة.
- له محاولات عديدة في الرسم، أقام أثناء دراسته في الجامعة ثلاثة معارض رسم تشكيلي.
- أسسس رابطة للأدباء والفنانين المندائيين عام ٢٠١٤
- صدر له عدة كتب:

مجموعة قصصية بعنوان/ نتاج السنين عام ٢٠٠٥

مسرحية بعنوان/ الشك وأشياء أخرى عام ٢٠٠٧

دراسة بعنوان/ الدين والنبي في التاريخ عام ٢٠١٠

مجموعة قصصية بعنوان/ الموتى لا يتكلمون عن مؤسسة شمس للنشر والإعلام عام ٢٠١٤

مجموعة قصصية بعنوان/ الهروب إلى الجحيم عن مؤسسة شمس للنشر والإعلام عام ٢٠١٤

مجموعة قصصية بعنوان/ عجائب يا زمن عن مؤسسة شمس للنشر والإعلام عام ٢٠١٥

رواية/ أنهر بنت الرافدين عن مؤسسة شمس للنشر والإعلام عام ٢٠١٦

رواية/ طاعون الشرق عن مؤسسة شمس للنشر والإعلام عام ٢٠١٦

رواية بعنوان/ الوهم تحت الطبع

مجموعة قصصية بعنوان/ التحدي تحت الطبع

مجموعة مقالات وخواطر بعنوان/ تأملات في عالم الإنسان تحت الطبع.

obeikan.com

- **مجيد جابك جاري:**

الصابئة في مصر

إذا أردنا أن نلقي الضوء على وجود الصابئة في مصر ؛ لا بد لنا من دراسة سيرة إبراهيم أبي الأنبياء (ع) الذي يذكره الصابئة المندائيون في اليوم ست مرات: ثلاثًا منها في الرشامة "الوضوء" وثلاثًا في التبريكات "الصلاة" ويسمونه بِهْرام الكبير بن القدرة ، ويذكرونه أيضًا عند إجراء بعض الطقوس الدينية الأخرى كالطماشة والصباغة وغيرهما ، فقد ورد في الصلاة المندائية للشيخ الجليل رافد الشيخ عبد الله ما يأتي: "صبينا بمعونة اد بِهْرام ربا برْ روربي مصبوتي تناطري وتسق لريش" ومعناها: اصطبغت بصباغة إبراهيم الكبير ابن القدرة، صباغتي تحرسني وترفعني إلى العلا"[1]، أما في الصلاة "التبريكات" فقد جاء ما يأتي[2]: "أسوثا وزكوثا نِهويلخ ملكا بِهرام ربا" ومعناها: "السلام والظفر لك أيها الملاك بِهرام الكبير". وقد ورد اسمه في (الكنزا ربا) - اليمين الكتاب الثامن عشر – التسبيح السابع بوثة رقم ٧ ، وهذا نصها "ويصعدون بالمعرفة التي جاءت من بيت إبراهيم الكبير ابن القدرة". وذكر أيضًا في (الكنزا ربا) اليسار مرة واحدة في كتاب "القُلستا" ترانيم الزواج المندائية ص١١٢ ترجمة الأستاذ أمين فيصل حطاب. وبذلك يكون الصابئة المندائيون أقل الأديان ذكرًا لإبراهيم الخليل (ع). أما الدين الإسلامي فقد ذكر الخليل أكثر من سبعين مرة في القرآن الكريم.

واستمرت هذه العلاقة بين الصابئة وبين إبراهيم الخليل حتى زواجه بـــ"سارة" ساراي، فقد ورد في الإصحاح العشرين على لسان إبراهيم الخليل: "في الحقيقة

---

١ الصلاة المندائية للشيخ رافد، ص ١٧

٢ المصدر السابق، ص ٢١

أيضًا هي أختي ابنة أبي إلا أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة [1]. وجاء أيضًا في موضع آخر التوراة أنها ابنة أخيه الذي مات قبل الهجرة إلى كنعان، وهذا يعتبر حرامًا في الدين الصابئي المندائي الذي يحرِّم الزواج بالأخت أو بابنة الأخ، بالإضافة إلى ذلك (ختانه) الذي يراه الصابئة المندائيون حرامًا أيضًا وبذلك حدثت القطيعة بين إبراهيم الخليل والصابئة فأخذوا يسمونه باسمه فقط "إبراهيم" فقد ورد في الكتاب المقدس (الكنزا ربا) اليمين ما يأتي: (**عندما تُبنى أورشليم مدينة اليهود يُدعى إبراهيم نبيًا فيها**) [2]. وقد ورد اسم إبراهيم أيضًا ص٧٣ بوثة ١٥٥. كما ورد اسمه في الكتاب الحادي – اليمين بوثة ١١ ص١٢٨. بعد ذلك نودي إبراهيم أبو اليهود هو وأفراد قبيلته، وبقي إبراهيم يتجه في صلاته شمالاً حيث كان الصابئة يتجهون إلى نجم القطب أثبت النجوم عسى أن يستمع إليه أصحاب القبلة، ولكن الصابئة لم يستمعوا له لأنه أصبح في نظرهم "نازلاً" ولا يجوز له أن يمارس الطقوس الدينية.

– أين وُلد إبراهيم الخليل:

لقد أفاض سفر التكوين في سيرة إبراهيم وأثبت أن مولده في أور الكلدانيين ورفع نسبه إلى سام بن نوح فهو إبراهيم بن نارح بن ناحور[3]. وبدأت هجرته من أور بسبب النزاعات بين القبائل وسوء الأحوال الاقتصادية متهجًا إلى حران، وقد رافقه في تلك الهجرة عدد من الصابئة وقد عُرف هؤلاء (بالصابئة الإبراهيمية) الذين هاجروا معه وهم – أغلب الظن – كونوا نواة للصابئة الحرانيين، فقد ذكرت الليدي دراور في كتابها (الصابئة المندائيون) – ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي– أن اليهود عندما ضيقوا الخناق على الصابئة في فلسطين – أورشليم اضطر كثير من الصابئة إلى الهجرة إلى حران وهناك وجدوا إخوانًا لهم في الدين حتى أن فئة منهم كانت تحج إلى حران التي هاجر

---

١ راجع "إبراهيم أبو الأنبياء" للعقاد، ص ١٥

٢ "كنزا ربا" اليمين ـ ص ٧٣ بوثة ١٢

٣ راجع "إبراهيم أبو الأنبياء" للعقاد، ص ١٥

إليها إبراهيم الخليل ونُسب إليها الصابئة الحرانيون [١] ، ولما كانت حران تقع على ملتقى الطرق التجارية فقد هاجر إليها كثير من حكماء اليونان عن طريق القساوسة النسطوريين في صدر المسيحية هربًا من الاضطهاد وكان أكثرهم يعرفون اليونانية ويقرأون الفلسفة ولاسيما الرواقية والقيثاغورية فتأثر الصابئة الحرانيون بذلك ونبغ منهم كثير من العلماء في الفلسفة والترجمة والطب وغيرها من العلوم وقد خدم هؤلاء في بلاط عبد الملك بن مروان أيام الدولة الأموية وكذلك خدموا في البلاط العباسي وكانوا زينةً للحضارة العربية الإسلامية في ذلك الوقت ، وعلينا ألا ننسى أثر الزمان والمكان والتطور في اختلاف صابئة حران عن الصابئة في جنوب العراق وفي بلاد فارس ، وإذا ما قارنا بين ماذكره سفر التكوين في سيرة إبراهيم وأثبت مولده في أور الكلدانيين وبين ما ذكره الأستاذ طه باقر [٢] من أن إبراهيم وأحفاده من آرامية هذه المنطقة "حران" فسوف نجد اختلافًا بين الروايتين: إحداهما تؤكد أن مولده في أور الكلدانيين والأخرى تقول إن إبراهيم وأحفاده من آرامية هذه المنطقة (حران) ، وأغلب الظن أن أكثر الباحثين والمؤرخين يؤكدون أن موطنه (أور الكلدانيين) جنوب العراق ومنها هاجر إلى حران ، ومما يؤكد ذلك ما ذكر المؤرخ ياقوت الحموي – معجم البلدان– ص ١٣٠: قيل سميت بهاران أخي إبراهيم لأنه أول من بناها ثم عُربت فقيل (حران). وذكر قوم أنها أول مدينة بُنيت على الأرض بعد الطوفان وكانت منازل الصابئة الحرانيين الذين يذكرهم أصحاب الملل والنِحل. وقال المفسرون في قوله تعالى ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إلى رَبِّي ﴾[٣] أنه أراد (حران) وقالوا في قوله تعالى أيضًا ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إلى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[٤] هي حران.

---

١ "إبراهيم أبو الأنبياء" للعقاد

٢ راجع "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة" لـ طه باقر

٣ القرآن الكريم: سورة العنكبوت، الآية ٢٦

٤ القرآن الكريم: سورة الأنبياء، الآية ٧١

- الصابئة وديانة مصر القديمة:

وإذا ذهبنا بعيدًا وعقدنا مقارنة بين الدين الصابئي المندائي وبين ديانة مصر القديمة لوجدنا تشابهًا واضحًا بين الديانتين ، فأباثر في الدين الصابئي المندائي هو الملاك القائم على الميزان الذي يزن فيه النسمة مع الروح يوم الحساب ، ترى أن الإله "أوزريس" في ديانة مصر القديمة هو الذي يزن الأرواح بعد الموت يوم الحساب ، وأن العصا التي يمسكها الكاهن في ديانة مصر القديمة قد تكون هي "المركَنا" التي يمسكها رجل الدين الصابئي المندائي عند إجراء بعض الطقوس الدينية.

- أخناتون و الصابئة:

فإذا درسنا تاريخ مصر القديمة وديانتها ودرسنا المرحلة التي عاش فيها الملك أخناتون الذي آمن بالتوحيد ودعا إلى عبادة إله واحد ، لتبادر إلى أذهاننا القول إن الملك أخناتون قد تأثر بالدين الصابئي المندائي ؛ أو ربما كان صابئيًا ، لأن الدين الصابئي المندائي قد انتشر في مصر قبل تلك المرحلة... وربَّ سائلٍ يقول: من أين جاء الصابئة إلى مصر؟ والجواب على ذلك أنهم ربما جاءوا إلى مصر مع هجرة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل من حران إلى مصر ، ومن هنا انتشر الدين الصابئي في مصر – في أغلب الظن – قال الأستاذ العقاد: إن دعوة أخناتون بلغت بالتوحيد أعلى مرتقاه في تلك العصور ، وبلغت بتنزيه الإله غاية لم تدركها حتى اليوم بعض الأمم في البلاد الشرقية والغربية ، لأن الدين الصابئي قد انتشر في مصر قبل تلك الفترة[1].

وسأقدِّم إلى القارئ الكريم هذا النص الذي ذكره الأستاذ "سليمان مظهر"[2]:

شروقك جميل يا سيد الأبدية.
أنت مشعٌ وجميلٌ وقوي.

---

١ العقاد ، المصدر السابق

٢ راجع "قصة الديانات ـ ديانة مصر القديمة" ص١ ، دار الوطن العربي

أشعتك تُظهر كل ما خلقت.
سطحك يضيء معطيًا الحياة للقلوب
أنت تملأ الأرض بحبك.
أنت الإله المعبود.
"الذي صنع نفسه بنفسه"
الذي صنع كل أرضٍ وخلق كل ما عليها
ما أكثر مخلوقاتك التي نجهلها.
أنت الإله الأحد بإرادتك
خلقت الأرض بإرادتك
ولما كنت وحيدًا في هذا الكون
خلقت الإنسان والحيوان الكبير والصغير
والمخلوقات التي تدبّ في الأرض
أو تطير بأجنحتها
أنت الذي أحللت كل إنسان في موضع
وأنعمت عليه بحاجاته
فصار كل منهم يأخذ نصيبه
ويعيش حياته المعدودة
لقد خلقت ألسنتهم وأجسامهم وجلودهم
فسبحان من مميز خلقك.
(أخناتون)

فإذا أمعنا النظر في هذه الترنيمة التي قالها الملك أخناتون فسوف نرى أنها لا تبتعد كثيرًا عن المعاني السامية التي وردت في كتابنا المقدس كقوله (أيها الإله المعبود الذي صنع نفسه بنفسه) فقد تكرر هذا المعنى عدة مرات في (الكنزا ربا) وفي كتاب الصلوات "الانياني"، وهذا نصه: (**أنا لهيي قدمايي سغدنا ولماري منداادهيي مشبنا ولهاخ برصوفا ربا ديقارا اد من نافشي افرش**) ومعناه: ولهذا الوجه العظيم الموقر الذي في نفسه تكون، أو الذي انبعث من ذاته.

obeikan.com

وقد ذكر الأستاذ عبد الحميد جودة السحار في صحيفة "روز اليوسف" العدد ٢٠٣٧ ما يأتي: (وبعث الله إدريس إلى الناس يدعوهم إلى عبادة الله الذي له السموات والارض ويحدثهم عن البعث والحساب والميزان والجحيم والخيرات التي أعدَّت للمتقين، فآمن المصريون بالله قبل فجر التاريخ وقبل أن يوحِّد "مينا" الوجه البحري والوجه القبلي بآلاف السنين. وعُرِف أتباع إدريس "بالصابئين" وعُرِف الكتاب الذي جاءهم به "كنزه". ولم تقم دعوة إدريس داخل حدود مصر بل ذهب إلى بلاد العرب يدعو إلى عبادة إلهٍ واحد).. ثم يستمر السحار ليقول: وكان إدريس يُعرف قبل أن يدوِّن البشر تاريخهم، وأن الأرض التي بين الفرات والنيل أمة واحدة وذهب إلى العراق يدعو أهلها إلى عبادة الله الواحد القهار، فانتشر الصابئون في أرض الجزيرة بين دجلة والفرات وفي أرض الشام وفي الجزيرة العربية وفي وادي النيل. وجاء أيضًا: "لا يزال الصابئون يقيمون وجبة طقسية سنوية على أرواح المصريين الذين غرقوا في البحر الأحمر وهم يتتبعون النبي موسى (ع) واليهود في قصة خروج اليهود من مصر، وهم يعتقدون أن من بين أولئك الذين غرقوا في البحر قسمًا كان يدين بالصابئية، وجاء أيضًا في ص٥١: لهذا تؤكل وجبة طقسية في ذكرى الحملة المصرية التي غرقت في الماء وهي تتبع اليهود. ولهذا نرى أن الدين الصابئي قد أثر في ديانة مصر القديمة، وما تزال العوائل المندائية تقيم هذه الوجبة الطقسية حتى اليوم وتُسمى عندهم "العاشورية" وهي وجبة من الهريس توزع على الجيران).

وقد أكَّد الأستاذ العقاد ما ذهب إليه السحار حين قال[١]: (مما لا ريب فيه أن عقيدة التوحيد سرت في مصر في صورة من الصور إلى بلاد المشرق، ومنها إلى بلاد البحر المتوسط ووادي الرافدين).

---

١ راجع "إبراهيم أبو الأنبياء" للعقاد، ص ٨

▪ تعقيب:

الأستاذ مجيد حابك: أستاذ اللغة العربية المقتدر ، له دراسات ومقالات قيمة ، ساهم في بداية ترجمة (الكنزا ربا) بأعمال الترجمة بجدٍ وحرص ، ولكن حصل اختلاف بينه وبين اللجنة المشرفة على الترجمة مع الأسف بسبب أنه كان يود إصدار (الكنزا ربا) على شكل أجزاء ، وكانت اللجنة تود صدوره كاملاً ، ولهذا طلبت من الأستاذ مجيد حابك التعاون مع الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ، ولكن لم يحصل اتفاق بينهما بسبب اختلاف وجهات النظر ، فكلفت اللجنة الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد بالصياغة اللغوية.

obeikan.com

▪ تحسين مهدي سوادي:

– تعليقًا على مقال الأستاذ "مجيد جابك جاري".

أودُّ الإشارة أولاً إلى مسألة مهمة في عملية تحصيل المعارف أو اعتمادها في البحث ، وهي أن الكتب التاريخية وكتب الدين والتراث والسير الشخصية إلى غير ذلك ، ليست جميعها مصدر ثقة وتُؤخذ كمصادر مُسلَّم بها عند البحث ، وليس كل ما تحتويه الكتب من معلومات وما تسجله من أحداث هو صحيح ويؤخذ به كأدلة قاطعة ، فبعض الأحداث التي نقرأها في الكتب هي مجرد قصص لا تدعمها الوقائع ولا الحقائق ولا المنطق أحيانًا ، منها على سبيل المثال القصة التي تشير إلى أن الصابئة قديمًا حاربوا إلى جانب الفرعون ضد موسى وشعبه وغرق منهم من غرق في حادثة عبور الشعب اليهودي للبحر الأحمر ، وأن طعام الهريس الذي يصنعه الصابئة كل عام في اليوم المعروف بيوم الهريس ، هو استذكار لمن قضى من الصابئة في تلك الحادثة !!...

إن ذلك كله طرح غريب لا يقبله المنطق... فهل الصابئة أهل حرب وقتال فيحاربون ويَقتلون ؟

الجميع يعلم أن القتل من أشدِّ المحرمات عندنا (**امسكوا أيديكم عن القتل والسرقة)** [1] ، بل إن القتل هو الخطيئة الوحيدة التي لا تُغتفر. كذلك تنهى الديانة المندائية عن فعل الشر والظلم (**لا تسلموا ضعيفًا إلى قوي)** [2]... فكيف يحارب المندائيون ويَقتلون الآخر؟ وكيف يلاحقون شعب الله الأعزل الذي يقوده أعظم أنبياء العهد القديم؟

---

١ "كنزا ربا" اليمين ـ ص ١٥

٢ "كنزا ربا" اليمين ـ ص ٣٨

Openkan.com

ثم هل يقاتل الصابئة إلى جانب الفرعون وهو الطاغية الملحد ، ويقفون ضد موسى النبي الموحِد ؟ هل يعقل هذا ، وهل يصح أن يقف الصابئة مع الباطل؟؟ هذا إذا كان للقصة كلها (حدث العبور) وجود حقيقي أصلاً.

أما بالنسبة لوجود الصابئة قديمًا في مصر ، فهل هنالك أية وثائق رصينة ومعتمدة علميًا ، تشير إلى أن الصابئة المندائيين عاشوا سابقًا في مصر ؟... هل يوجد للصابئة أي أثر مادي في مصر يشير إلى وجودهم السابق هناك ؟... هل تم العثور في مصر على أية نصوص كتبت باللغة المندائية ؟

إن العقيدة المندائية تختلف اختلافًا جوهريًا عما كان سائدًا في مصر آنذاك ، بل وعلى نقيض واضح ، فالديانة المصرية كانت تؤمن بتعدد الآلهة مثلها مثل ديانة الرومان والإغريق وغيرها من الديانات القديمة ، كما آمن المصريون بالجسد (المادة) وقدسوه واهتموا به حتى بعد الموت ، كذلك آمنوا بقيامة الأجساد بعد الموت وبعودة الروح إلى الجسد ، وكانوا يعتقدون أن الخُطاة مصيرهم الفناء والعدم ، كما أن البكاء على الأموات في معتقد المصريين القدماء كان شيئًا مستحبًا... إلى غير ذلك ، ولهذا اهتم قدماء المصريين بتحنيط الأجساد لحفظها من الزوال ، والتحنيط كان بمثابة بوابة العبور إلى الحياة الأخرى ، فبدون الجسد المحنط (المحفوظ) لن تتمكن الروح من العودة مرة أخرى إلى الجسد ، ونتيجة لهذا لن يبعث الشخص المتوفى إلى الحياة مرة أخرى ويكون مصيره الفناء الأبدي.. إن اهتمام المصريين الكبير بتحنيط الأجساد معناه تقديسهم للمادة (الجسد) وأن الروح وفق عقائدهم لا قيمة لها دون الجسد. في حين تعتبر الديانة المندائية أن الجسد هو مجرد حاوية تحتضن وتقيد النفس (نشماثا) خلال فترة وجودها في هذا العالم ، وبموت الجسد تتحرر النفس (وليس الروح كما هو الحال عند المصريين وعند شعوب أخرى) وتنطلق النشماثا إلى خالقها الذي انبثقت منه ، وأن الأجساد زائلة فانية لا قيمة لها بعد تحرر النفس الإنسانية.

من ناحية أخرى فإن طقوس الدفن في مصر القديمة كانت تصاحبها مظاهر البكاء والنحيب والحزن المبالغ بها ، وذلك لغرض طلب رأفة الآلهة بالمتوفى لعلها تعفو عن خطاياه وتمنحه حياة النعيم الأبدية (توجد الكثير من الرسوم والنقوش التي تصور مشاهد النائحات ومواكب الحزن في الجنائز المصرية القديمة) ، في حين تُحرِّم الديانة المندائية الحزن والبكاء على الأموات (**لا تبكوا أمواتكم ولا تقيموا عليهم الأحزان ، إن من مزق ثيابه على ميت فقد دنسها ، ومن قلع شعرة على ميت فسيربط بجبل الظلام بحبل لا يبيد**) [1] .

كذلك يقوم المصريون بوضع الأطعمة والأشربة في القبر قرب جثة المتوفى المحنطة إيماناً منهم أنها ستكون زاده خلال رحلته إلى العالم الاخر...

فأين نحن وعقيدتنا من هذه الأفكار الغريبة ؟

المصريون اهتموا بالموت أكثر من الحياة ، ونحن الصابئة نهتم بالحياة المثلى لأنها الطريق إلى الحياة الأبدية. بحسب عقيدتنا يتم الخلود باتحاد النفس مع الخالق الخالد ، وأن الأنفس جميعها تعود بعد تهذيبها وتطهيرها إلى خالقها لتبقى في عالم النور إلى الأبد ، أما عند المصريين فالحصول على الخلود يتم بعدم معصية الآلهة وعدم اقتراف الذنوب والآثام ، وأن الأرواح بحسب عقيدتهم هي التي تُحاسَب وليس الأنفس ، وأن الأرواح الخاطئة يكون مصيرها دار العقاب حيث الفناء والعدم.

هم عندهم (أوزيريس) كبير الآلهة ورب العالم السفلي ، وهو الذي يزن الأعمال ويحاسب البشرية... ونحن عندنا الله الواحد الحي القدير ملك النور السامي.

في العالم الآخر يتم التعرف على الفرد الصابئي من خلال اسمه الفلكي (الملواشة) ، أما في عقيدة قدماء المصريين فيتم التعرف على الفرد يوم الحساب من خلال شكله (صورته) إضافة إلى اسمه الدنيوي ، لذلك كانوا ينحتون صور الموتى على نعوشهم.

---

١ "كنزا ربا" اليمين ـ ص ١٧، ١٨

وهنالك الكثير من الاختلافات الأخرى بين الديانتين المندائية والمصرية القديمة.

المصريون كانوا يعتبرون الفرعون بمثابة الإله على الأرض، وكل فكر خلاف ذلك هو خروج عن إرادة الفرعون ويستوجب أشد العقوبات...

وهذه بعض الأسباب التي تمنع وجود وتعايش الصابئة هناك.

ولو كان الصابئة موجودون فعلاً في مصر القديمة لبقيت منهم بقية مثلما بقي صابئة العراق وإيران، ولتركوا شيئًا من مفردات لغتهم في اللهجة الدارجة المصرية مثلما هو الحال مع اللهجة العراقية التي تتضمن مفردات مندائية عديدة. وفي الحقيقة لا يوجد في الأدب المندائي أي إشارة أو ذكر لشيء له علاقة بمصر، ليس هنالك ذكر لمدينة أو نهر أو رقعة جغرافية أو اسم لملك أو فرعون أو غير ذلك... في حين وردت الكثير من المصطلحات والمسميات العراقية في (الكنزا ربا) والكتب الروحية الأخرى، منها على سبيل المثال: أور وبابل والجنائن المعلقة ودجلة والفرات والنخلة والتمر والسبي البابلي وجنة عدن وغيرها الكثير، كذلك وردت في تلك الكتب اسماء عراقية شرقية قديمة للذكور والإناث.

أما بالنسبة لدنانوخت المعلم الصالح، فقد ورد ذكره في كتب التاريخ بأسماء عدة، فهو (دنانوخت) عند الصابئة و(اخنخ) عند اليهود و(إدريس) عند المسلمين و(هرمس) عند اليونان والمصريين القدماء، وهنالك شك في كون هذه الأسماء جميعها تعود لشخصية واحدة، فلا تشابه أو تقارب لفظي بينها. وعلى العموم فاذا كان دنانوخت الصابئي هو نفسه من رحل من بابل إلى مصر، فهذا الأمر لا يؤكد وجود وانتشار الصابئة والدين الصابئي المندائي هناك، كما أن دنانوخت كان حكيمًا وفيلسوفًا أكثر منه رجل دين، وهو نقل رسالة توحيد ولم يكن مبشِّرًا بدين معين.

هنالك شك بحقيقة وجود تسبيحات للرب في تاريخ مصر القديمة، فالمصريون كانوا يعتبرون الفرعون هو الإله على الأرض، ويعتقدون بوجود آلهة أخرى

كثيرة تدير شؤون العالم وهي جميعها مساندة وراعية وحامية للفرعون، والمعروف أن جميع الفراعنة كانوا طُغاة ملحدين يستعبدون عامة الشعب ويعتبرون أنفسهم بمثابة آلهة ويسخِّرون كل شيء لصالحهم، فكيف يكتبون تسبيحات تمجِّد الرب الواحد الذي لا يعرفونه اصلا؟ أين كُتبت تلك التسبيحات ومتى ؟ وما هي المصادر والدلائل التي تشير إلى ذلك؟... وإن وجدت نصوص لتسبيحات في مصر القديمة فمن المحتمل ان تكون لموحدين صالحين عاشوا أو مروا بأرض مصر قديمًا، كدنانوخت أو موسى أو إبراهيم أو غيرهم.

أما مسألة أن أحد الفراعنة كان موحِّدًا فأعتقد أن تلك دعاية يروِّج لها المصريون ليدَّعوا أن التوحيد قد بدأ في مصر ، فبعض الكُتَّاب المصريين المحدثين يدعون أن التوحيد بدأ عندهم ثم انتقل إلى الشرق وبلاد الرافدين ، وهو أمر غير صحيح ومخالف للحقائق التاريخية ، فلم يعش آدم ولا شيت ولا سام بن نوح في مصر، وهؤلاء هم أول الموحدين ، كما أن دنانوخت وإبراهيم عاشوا في العراق قبل هجرتهم إلى مصر.

أما عصا الكاهن المصري فهي لا تعني بحال من الأحوال (مركَنا) رجل الدين المندائي ، فجميع الكهنة والملوك والأباطرة حتى عصرنا الحاضر يحملون العصا أو الصولجان ، حتى صور ومنحوتات الآلهة كانت تُظهرهم حاملين لصولجاناتهم في أيديهم ، تلك الصولجانات لها دلالات سلطوية وتمثل القدرة والرعاية ، كما ترمز إلى العرش والسلطة العليا. أما (مركَنا) رجل الدين المندائي فهي تمثِّل الماء الحي.

- **الدكتورة/ ليلى الرومي:**

– تعليقًا على مقال الأستاذ "مجيد جابك جاري".

العلاقة بين الدين المندائي والديانة المصرية القديمة يمكن التوصل لها بالإطلاع على الكتابات المصرية القديمة: قبل عدة سنوات أقام المتحف البريطاني في لندن معرضًا لكتاب الأموات للمصريين القدماء **THE BOOK OF THE DEAD** وحين شاهدت المعرض والرسومات الرائعة المذهبة وقرأت الترجمة الإنجليزية تحتها؛ ذهلت وأصابتني الدهشة وخاصة عندما ترى رسم وزن النفس بالميزان وفي فكري وأنا أقرأ الـــ **TEXT** قلت هذه تشبه كتابات (الكنزا ربا).

ولكن في نفس الوقت وفي رأيي الشخصي أن معظم الديانات نقلت من بعضها البعض وتأثرت ببعضها البعض، ومن أتى الأول ومن اقتبس منه، أسئلة من الصعب الإجابة عليها في بعض الأحيان...

ولهذا وخاصة بالنسبة للديانة المندائية وقلة المصادر التاريخية حول أصلنا وتحركاتنا وهل بدأنا في الأردن أم في بابل وأيضًا موضوع وجودنا في حران وهل بهرام هو النبي إبراهيم... أسئلة من الصعب الإجابة عليها والاقتناع بالبراهين التاريخية القليلة الموجودة حاليًا. وبقى الكثير من الأسئلة التي قد يجد علماء اللغات الآرامية الإجابة عليها من تحليلهم للغة المندائية في المستقبل كما فعل بروفسور "جارلس هيبر" في محاضرته حول دراشة يهيا ياهانا.

وأشكر الأخ مجيد جابك على المعلومات والله يرحم الوالد غضبان رومي والعم نعيم بدوي على دراساتهما لهذه المواضيع والتي لا تزال مصدرًا للبعض... وندعو ونشجع كل باحث مندائي أو من أي ملة أو اختصاص على تعميق فهمنا لديانتنا المندائية وتاريخنا المندائي الذي مع الأسف لم يحظى بدراسة واسعة كغيرنا من تاريخ الأديان وخاصة من الباحثين المسلمين والعرب الذين عاشوا بينهم كل هذه السنين. ولكننا فخورون أننا لم ننقرض (ولحد الآن) كما انقرضت المانوية والنبطية، وغيرها من الديانات القديمة التي عاشت نفس الفترة الزمنية.